

النسق الاصطلاحي للبلاغة الجديدة وإشكالات ترجمته

thermomenological system of new rhetoric and problems of its translation

منصوري مصطفى

¹ مؤسسة الانتماء جامعة سيدي بلعباس الجزائر،

mustaphamansouri@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 08-09-2022 تاريخ القبول: 12-12-2022 تاريخ النشر: 31-12-2022

ملخص:

يهتم البحث بمداولة إشكالات مصطلح البلاغة الجديدة من حيث موضوعها وطبيعة العلاقة التي تقيمها مع العلوم المتاخمة لها. ويخص طرائق انتقال مفهوم البلاغة الجديدة إلى الثقافة العربية ومراعاة الإكراهات المصاحبة لذلك الانتقال انطلاقا من غنى التراث البلاغي العربي. الكلمات المفتاحية: البلاغة الجديدة، الحجاج، الترجمة، المصطلح، البلاغة العربية

Abstract :

The research endeavors to study the problem of the new term rhetoric according to its object and the nature of the relationship it establishes with the sciences which are adjacent to it.

It is about the methods of transferring the concept of the new rhetoric to Arab culture and taking into account the constraints accompanying this transition, based on the richness of the Arab rhetorical heritage.

Keywords: the new rhetoric- argument- translation- term- Arabic rhetoric

منصوري مصطفى، الإيميل: mustaphamansouri@yahoo.fr

لعل من مقاصد ترجمة المصطلح البلاغي وغيره الحاجة إلى مواكبة المنجز الإنساني بأبعاده المختلفة سواء أكان الأمر متعلقا بما تمتاز به ثقافة ما عن غيرها أم ما تشترك به تلك الثقافات كلها، لتتباين حسب درجة إسهامها وقوة استيعابها لما هو متداول من مفاهيم بغض النظر عن مصدره أو طبيعة بنائه أو الحاجة التي دعت إلى استحداثه. فالمعرفة حظ مشترك بين جميع البشر لا يدعى فيه الواحد قصب السبق أو الملكية الخاصة التي لا ينبغي أن ينازعه فيه أحد.

إن خطورة المصطلح لا تقترن بالحاجة إلى امتلاك لغة ما لمصطلحاتها الخاصة - لتظهر قدرتها على مضاهاة ما يروج من أفكار عبر اللغات المختلفة- فحسب بل بقدرة تلك المصطلحات على ضمان حد أدنى من التواصل يتيح إمكان رواج المعرفة وتراكمها الذي يضمن في الأخير القدرة على إنتاج المفاهيم وتجاوز إشكال المواكبة وعسر بناء جهاز مصطلحي مقابل لما ينتج عند الآخرين.

2. المصطلح المترجم وإشكالاته في الثقافة العربية المعاصرة:

2-1 الترجمة وأسئلة النهضة:

واجهت الثقافة العربية المعاصرة أسئلة عميقة منذ لقاءها الأول مع الثقافة الغربية، واضطرت في كثير من المواقف إلى إعلان عجزها عن تقديم تصورات دقيقة لما يطرح عليها من إشكالات تعلق بعضها بأسئلة الهوية والعلاقة مع الآخر المختلف وطبيعة التعامل مع سؤال الثقافة وسؤال المعرفة العلمية المادية، وكيف يمكن الفصل بين الغرب الملحد ومقترحاته التكنولوجية التي لا يختلف في فاعليتها وفي ثورتها على القيم التقليدية . وإذا كان المصلحون الرواد قد عمدوا إلى تقديم مقترحات وتصورات خاصة لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين العرب والغرب- ما اقترحه رفاة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني وشكيب أرسلان وغيرهم كثير- إلا أن السؤال ذاته لا زال يواجه الثقافة العربية بالحدة نفسها وبالمرارة ذاتها.

يقتضي التعامل مع الثقافة الغربية تحديد الأطر العامة التي يجب اعتمادها في التعامل مع ما تقترحه، ووضع استراتيجية دقيقة لطبيعة ما ينبغي استقباله وما ينبغي التريث قي أمره إلى حين تهيئة النفوس والأذهان لتقبله، فليس كل ما تنجه تلك الثقافة مستساغا تنقاد له العقول دون روية أو تدبر. إذ كثيرا ما تتعالى أصوات في الثقافة العربية تنادي بضرورة استبعاد ما هو غربي، يتنافى مع ما يعتقد أنه عقيدة أو ثقافة عربية أصيلة تأبي استقبال كل منتج ثقافي غير موحد.

النسق الاصطلاحي للبلاغة الجديدة وإشكالاته الترجيحية

لم تفلح حتى الآن المحاولات على كثرتها في إقامة علاقات متزنة مع الغرب، ولم تتم الاستجابة للأصوات الداعية إلى ضرورة بناء وعي تقافي جديد يرسم سياسة مختلفة لطبيعة العلاقة معه. ويمكن أن نعد أسبابا كثيرة تفسر عسر تلك العلاقة وتعقيداته المختلفة، غير أن الحاجة ليست في حصر الأسباب - التي صارت معروفة - بل في البحث عن السبل الكفيلة لبناء متصورات جديدة تتيح عدم التنكر للثقافة العربية الأصيلة ولكنه في الوقت ذاته لا تدير رأسها لما هو متداول من مفاهيم وما ينتج من أفكار من دوائر لا نتقاسم معها القناعات نفسها.

تظل الترجمة السبيل الأقوم للاطلاع على ما يروج من مفاهيم في الثقافات المختلفة والأداة الفعالة للتعامل مع ما ينتج خارج مجال اللغة الواحدة. وكلما كانت تلك الترجمة واعية بخطورة دورها ومدركة لحيوية وظيفتها صار بالإمكان انصهار الثقافة الوافدة في الثقافة المختلفة يسيرا ومبينا على أسس متينة تنشُد وحدة المجهود الفكري الإنساني.

لم يتبلور وعي ترجمي متين في الثقافة العربية لاعتبارات مرتبطة بطبيعة وضع الثقافة ذاتها في المجتمعات العربية، إذ غالبا ما تنحصر وظيفتها ضمن دوائر ضيقة لا تتعدى بعض المجالات الأكاديمية التي تضطلع بمهمة تقليص الفجوة بين ما يقترحه العالم في كليته وما تحتاجه الثقافة العربية من تآلف وتلاقح يضمن سيورتها وديمومتها في الآن نفسه.

لا تشكل الترجمة عند العرب هاجسا ثقافيا وحضاريا على خلاف ما هو قائم في المجتمعات التي قطعت أشواطاً أكيدة في مجال الرقي المادي - على الأقل - من خلال انفتاحها على ما ينتج في غير لغتها، وتكفي بعض المقارنات بين ما يترجمه العرب في مجملهم مع ما يترجم في لغة أوروبية واحدة ليظهر الوضع المأساوي للترجمة في الثقافة العربية المعاصرة. فاليونان مثلا وحدها تترجم أضعاف ما يترجم العرب كلهم في العام الواحد.

أما ما يترجم من أعمال ومفاهيم عند العرب فخاضع للمجهود الفردي الذي لا يلتفت في الغالب إلى ما هو مترجم فعلا إذ لا يقوم على استراتيجية معينة تحدد ما ينبغي ترجمته والأسس العلمية الواجب توفرها في كل ترجمة تروم تشكيل وعي معرفي جديد أو تبلور تصورات ثقافية مختلفة، تقيم جسور تلاقح مع ثقافات العالم.

منصوري مصطفي

يغدو أمر ترجمة المصطلحات أكثر خطورة، لارتباط طبيعة بنائها وطرائق تشكلها مع ما يتأسس ضمن الترجمة، فكلما كانت تلك الترجمة غير قائمة على ضوابط علمية وخاضعة للمجهود الفردي فحسب دون أن تتكفل هيئات رسمية بتحديد أولوياتها وغايتها يظل أمر المصطلح مطابقا لذلك التشويه ولتلك الفوضى أيضا.

لا يقود مثل هذا الوضع إلى إغفال الجهد المصطلحي العربي، فقد تأسست الجامعات اللغوية وشيدت مكاتب التعريب وبرز في الآفاق مترجمون لا يقل شأنهم عن نظرائهم في الغرب، مما يكشف عن ((إرهاصات حقيقية لولادة نشاط علمي تطبيقي حقيقي وممنهج لا بدائي وفوضوي.. غير أن مشاكل المخاض التي يعانيتها الواقع قد تؤخر الولادة. ويعتبر الوقوف على تلك المشاكل والتنبيه إلى خطورتها مرحلة ضرورية في سبيل استشراف مستقبل هذا العلم الفني في ثقافتنا العربية المعاصرة)) (عياد بومرزاق، 2016، ص. 25) فإننتاج المعرفة متوقف إلى حد بعيد على مبدأ التراكم الذي يتيحه الانفتاح على الآخرين وحسن الانتفاع بما يقترحون والقدرة على بناء وعي نقدي يخضع الوافد إلى التمحيص والتدبر والدراسة المستفيضة التي تمكن من تجاوز الإكراهات وتدليل الصعاب ورسم السبل القادرة على فتح آفاق الرقي والتقدم.

يتداخل عمل المترجم وعمل المشتغل بالمصطلحات، فلا الأول يقوى على الاشتغال بمعزل عن الأسئلة العميقة التي تشغل بال المصطلحي، ولا المنهمك بالهم المصطلحي قادر على الاستغناء عن الترجمة، فهي أدواته المفضلة حين تضيق به السبل وتتقلص فرص الإبداع. وبذلك صار ملحا تحديد مصدر الإشكال في التعامل مع المصطلحات الوافدة: فهل هي قضية لغوية أم قضية معرفية؟ هل قصور المصطلح راجع إلى عدم التوفيق في اختيار لفظة مقابلة دون غيرها: أم أن الأمر يعود إلى سوء تقدير للإطار المعرفي الذي يتحرك ضمنه المصطلح؟

إن ما تسميه الثقافة العربية المعاصرة أزمة المصطلح وفوضى المصطلح وما شابههما من نعوت تقديرية، لا تمكن من البحث عن حلول مثلى لتجاوز ما يوصف به المصطلح العربي ولا تؤمن بأن تعدد المصطلحات وتنوعها ضمن الحقل الواحد لا يعد مضرّة دائما، فالزمن كفيل بإخضاع ذلك التعدد للتجريب وتاليا لاعتمادها بوصفها أكثر فاعلية ودقة، أو عدم النظر إليها لثبوت محدوديتها وقصورها في استكشاف ما كانت موكلة له. كما أن التعدد إذا ضمن حدا أدنى من التواصل لم يدخل دائرة الفوضى دائما.

النسق الاصطلاحي للبلاغة الجديدة وإشكالاته الترجيحية

إن ترجمة المصطلحات وإشاعتها لا تتركز على البعد اللغوي وحده- وإن كان جانبا مهما في ذلك البناء- وإنما يتركز بالأساس على الجانب المعرفي فنحن نعتمد الترجمة لأننا ((لا ننتج هذه المعرفة، نتلقاها، ونريد أن نستوعبها، لنتمكن من الإبداع من خلالها والإضافة إليها. هذا هو الرهان الذي يمكن أن يوجه عملنا، وإلا بقينا أسارى الاجترار والتكرار)) (سعيد يقطين، 2012، ص. 193) وبذلك فاقترح المصطلح ليس هما ترجيحا فقط بل هما معرفيا يسهم فيه المختص تبعا لطبيعة ما يشتغل حوله. ومن ثم يصير المصطلح منبثقا من الانشغال المعرفي ومستلهما من الحاجات الملحة التي ترافق مسيرة البحث في التعامل مع المفاهيم والمعارف. ولا تصبح ترفا لغويا يلوكه كل من اتصل باللغات الأجنبية بسبب، فتظل اقتراحاته مبنية على هواه، يغيرها كما يحلو له دون ضابط ولا وازع.

كثيرا ما أساءت الترجمة لمكونات المصطلح ذاته، عندما لا تراعى المحاضن الثقافية التي أوجدته، ولم تحترم السياقات الفلسفية التي أطرته، فتقترح مقابلات لغوية فارغة من كل محتوى معرفي، تثبت عدم جدواها في أول لقاء مع المحك التطبيقي أوحين يراد له الإسهام في بناء الجهاز المصطلحي لحقل معرفي ما.

2.2- المصطلح البلاغي العربي بين سلطة التراث وإكراهات الترجمة

يعتقد كثير من العرب بأن البلاغة علم عربي أصيل، قدم العلماء عبر تاريخها الطويل صفحات مضيئة شيدت أركانها وأسست أبوابها وفصلت بين متشابهيها وضبطت مصطلحاتها وقننت مفاهيمها واقترحت نماذج يقتدى بها وفق قواعد جامعة للكلم مهما نما وواصفة للفصيح مهما أبدع وسما.

لا يكثرث بعض العرب في حديثهم عن البلاغة العربية في أزهى عصورها عن إسهام التأثير الأجنبي في بناء متصوراتها، فهي عندهم مرتبطة بالقرآن الكريم الذي أوحى لهم التدبر في كلامه والعمل على استكشاف أسراره وبلاغته. وبذلك اقترن الجهد البلاغي عند كبار أعلام البلاغة بالسعي إلى التقرب من النص القرآني والتأمل في سر إعجازه، على شاكلة ما اقترحه عبد القاهر الجرجاني الذي لا أحد يجادل في انبثاق نظرية النظم عنده من القرآن الكريم وحده. أما ما يقال عن تأثير الأجنبي فلا يغدو أن يكون اطلاعا على ما يروج من أفكار الاستنفاع منها لا يقلل من أصالة البلاغة بوصفها علما عربيا مستوحى من تعلق النفوس بالقرآن والسعي إلى خدمته والتوكيد على فرادته وعلوه عن كل وصف. أما حين جنحت البلاغة إلى التقسيم والتجزئ والتفريع مع التعقيد بتأثير الثقافات الوافدة فقد كانت تلك البلاغة قد

منصوري مصطفي

وصلت أوج تطورها فعجز مرتادوها عن الإبداع ضمن ما تأسس لها فلم يجدوا بدا من الاهتمام ببعض شكلياتها.

لم تكن البلاغة العربية في بداية عهدها على دراية كبيرة بالجهاز المصطلحي الذي تتحرك وفقه، وذلك أمر طبيعي فالمفاهيم تولد أولا ثم يبحث لها عن مصطلحات تحملها، كما أن البلاغة ذاتها كانت تؤسس درسها وفق استقراءات ناقصة لا تحوّل ضبط المفهوم في مداراته المختلفة بله البحث عن مصطلح يجسد أبعاده أو يضطلع بمهمة ترويح ما كان يتبلور من مفاهيم.

يجسد كتاب مفتاح العلوم للسكاكي بدايات اعتماد المصطلح البلاغي بعد أن خصص قسما من كتابه للبلاغة جانحا إلى بعض الضبط والتدقيق في نعت المفاهيم التي رآها مفاتيح ضرورية للولوج إلى الدرس البلاغي. ثم توالى المؤلفات والدراسات إما شارحة للكتاب ذاته وإما مستدركة عليه أو متصلة به بسبب، على غرار ما جاء في كتاب الخطيب القزويني (الإيضاح في علوم البلاغة) وكتاب سعد الدين التفتازاني (المختصر شرح تلخيص المفتاح) وغيرها مما لا يسمح المقام باستعراضه هنا. إلى أن صار الدرس البلاغي يكاد لا يخلو من إحالة للمفتاح إما بتوسيع ما بدا مختزلا وإما بتضييق ما رأوه موسعا ممددا.

لا يخلو المصطلح البلاغي العربي القديم من بعض الالتباس وبعض الغموض وبعض الاختلاف أيضا، على الرغم مما يبدو فيه من انسجام وتوافق. فالمفهوم الواحد أحيانا يقيض له أكثر من مصطلح، فقد سمي البلاغيون العرب ((تشابه آخر حرف في الجمل المتعاقبة في النص السردي تسمية السجع لكنه أطلقوا على الظاهرة نفسها في القرآن الكريم اسم الفاصلة هربا من استدعاء أي تشابه بين نص القرآن الكريم والنصوص الدينية الأخرى.. وبخاصة سجع الكهان. وبذلك تتضمن كتب البلاغة مصطلحين متباينين للإشارة إلى ظاهرة واحدة)) (عماد عبد اللطيف، 2016، ص. 120)، فيتولد عند من لا يميز بين بلاغة القرآن وبلاغة ما سواه اضطراب، لا يسهم في بناء وعي مصطلحي يستشرف به تشكيل معرفة جديدة، قائمة على مبدأ التراكم. والحقيقة أن عدم تخصيص لكل فن قولي بلاغته الخاصة أحال البلاغة إلى ضرب من القواعد الصالحة لكل أشكال التعبير بغض النظر عن طبيعة تحققها، فبلاغة القرآن غير بالغة الشعر غير بلاغة الخطابة وهكذا دواليك مع الخطابات الأخرى، فالبلاغة بلاغات لا بلاغة واحدة بدهاة.

لا تنحصر إشكالات المصطلح البلاغي العربي في تعدد المصطلحات لمفهوم الواحد، بل قد يؤدي أحيانا تعدد المصطلح الواحد للدلالة على مفاهيم متعددة، فالجواز مثلا يتخذ مظاهر متنوعة غير أنه يشار

النسق الاصطلاحي للبلاغة الجديدة وإشكالاته الترجيحية

إليه بالمصطلح الواحد، ولا تغرينا بعض المصطلحات الملحقة به لتكوين تصور دقيق لألوان الكلام الذي يسمو عن الكلام العادي، أو الخاضع للدلالة المعجيمة.

تدل هذه الظواهر وغيرها على أن المصطلح البلاغي العربي لم يكن بمعزل عن الإشكالات المقترنة ببناء المصطلحات في كليتها، فلا تكاد تخلو ثقافة معتمدة لها- المصطلحات- من تعدد وتنوع واختلاف. أما ما يميز ثقافة عن أخرى في طبيعة تعاملها مع المصطلح- بغض النظر عن الحقل الذي يشتغل ضمنه- فيكمن في درجة الاختلاف فحسب، فبعض الثقافات يضمن اختلافها حدا أدنى من التواصل، فيما تبدو الفجوة عميقة بين المشتغلين في ثقافة أخرى لاعتبارات مرتبطة بقيمة المعرفة لديها وبشكل العلاقات العلمية بين مورديها.

تتضاعف إشكالات المصطلح حين يكون سبيل بنائه الترجمة في المقام الأول، فالسياقات الثقافية متباينة من لغة إلى أخرى، والمسارات التاريخية التي تنبثق منها المفاهيم غير متطابقة، فالمرحل التي مرت بها البلاغة العربية مختلفة عما مرت به البلاغة العربية، وعدم مراعاة مثل هذه الفروقات يصعب عملية الانتقال من لغة إلى أخرى، ويجعل الاستناد إلى التراث مثلا في اقتراح مقابلات غير متاح لا يتعد في بعض ضروبه عن التقدير والاعتساف.

لا يتعد حال مصطلحات البلاغة الجديدة وطرائق انتقاله إلى الثقافة العربية المعاصرة عما سبق وصفه. فبعد أن أعيد بعث البلاغة تحت مسمائها الجديد (البلاغة الجديدة) اضطر العربي إلى التعامل معها بوصفها معرفة وافدة تحتاج إلى حسن استيعابها والسعي إلى ترويجها بواسطة الترجمة أولا والاستثمار النقدي التطبيقي ثانيا. غير أن ذلك السعي لم تكن سبله ممهدة تماما بحكم الزخم المعرفي الهائل الذي يميز البلاغة العربية القديمة وكذا الإشكالات المتعلقة بالترجمة شأنها شأن عملية انتقال المفاهيم لدى كل الأمم في الغالب..

3. البلاغة الجديدة.. المفهوم و إشكالات المصطلح:

1.فتوحات البلاغة الجديدة:

لم تتورع كثير من الدراسات الحديثة في وضع البلاغة ضمن التراث الإنساني الذي ينبغي تجاوزه ووضعها على هامش الدراسات المعاصرة بوصفها علما قديما يطلع عليه ولا يعمل به ، فقد نضجت حتى احترقت

منصوري مصطفى

حسب تعبيرهم، ولم تعد قادرة على مواكبة ما استجد من خطابات وما استحدثت من طرائق للتحليل والمدارسة والتأويل، فقد أمدتهم اللسانيات في زعمهم بجهاز تحليلي دقيق يتيح إمكان استحداث آليات تميل إلى الموضوعية التي افتقدتها غالبية الدراسات التقليدية وبخاصة تلك التي تقيم متصوراتها على معايير محددة سلفا.

غير أن تلك الأصوات سرعان ما دعيت إلى مراجعة مواقفها بعد أن اقترح بيرلمان C.Perlman وتيكا L. O. Tyteka مصنفهما في الحجاج:

Traité de l'argumentation. La nouvelle rhétorique ناعتين إياه بالبلاغة الجديدة في خمسينيات القرن الماضي. وقد أرادا لدراساتهما أن تتعلق بانشغالات عصر النهضة وبالأعمال التي ألقت من الإغريق والرومان الذين درسوا فن الإقناع وتقنيات الحوار، غير أنهما في الوقت نفسه يعلنان تجاوز حدود البلاغة التقليدية وضوابطها، أما موضوع البلاغة الجديدة عندهما فمحصور في النصوص المطبوعة و مجموع الخطابات بغض النظر عن أشكال تحققها، وبذلك فمصنف الحجاج غير موجه للمناطق و لا للفلاسفة فقط بل لكل منشغل بالإقناع مهما كان موقعه وغاياته.

أتاح هذا التوجه الجديد إعادة بعث البلاغة ووضعها ضمن اهتمامات الدراسات المعاصرة بعد أن ظلت إلى عهد قريب عنوانا للتقليد والاحترار والسير وفق ما رسمه السلف، دون القدرة على خرق القواعد أو تجاوز المعايير التي تضمن وضع الأطر العامة لتجلي البليغ الجميل.

استقبلت البلاغة الجديدة بوصفها فتحا جديدا متعدد الاختصاصات بعد أن ضبظت معالمها مع ما اقترحه بيرلمان، فصار متاحا تحليل الخطابات على هديها، ولم يسلم خطاب بشري إلا وتم تجريب فاعليتها على مكوناته، فأثبتت جدارة تقدمها ورحابة أسسها لتتضمن الكلام البشري مهما بلغت درجة تعقيداته.

لا يمكن إغفال بعض إشكالات الخطاب التخيلي حين يراد له أن يكون طرفا في المعادلة الحجاجية، فبعضهم لا يجيز مثل هذا الربط بدعوى غياب مقاصد الإقناع وغياب عناصر الاستدلال التي تدعو إلى عمل ما أو التنفير منه بواسطة حجج تتباين لكنها تشترك في السعي إلى التأثير في السامع. فيما يدحض البعض مثل هذا الافتراء بالدعوة إلى التمييز بين المقصد الحجاجي والبعد الحجاجي، إذ ((ترك الأمور على الإطلاق لا يفيد منهاجيا، بل الأولى أن يميز .. بين النص الذي يستهدف المقارعة بالحجة من أجل تغيير وجه نظر، أو ترسيخ فكرة أو الدفاع عن قضية وبين النص الإخباري التقرير أو حتى الإبداعي

النسق الاصطلاحي للبلاغة الجديدة وإشكالاته الترجمية

الأدبي (شعري أو سردي..) الذي يتضمن بعدا حجاجيا على درجات من القوة والضعف تصل إلى حد الخفاء)) (محمد العمري، 2013، ص. 43) ومن ثم يصير من السهل الإقرار بحضور الحجاج في الخطابات كلها غير أن ذلك الحضور لا يسير وفق وتيرة واحدة، يبدأ بنص ينهض على مقارعة الحجة بالحجة حصرا، وينتهي عند نص تخيلي يخاطب الوجدان ولكن لا يعدم وجود رغبة قد تكون صريحة أو ضمنية إلى التأثير في المتلقي، أو حمله على الأقل إلى الإسهام في بناء العوالم الممكنة التي يشيدها.

2.3 تلقي البلاغة الجديدة في الثقافة العربية المعاصرة

انتقلت البلاغة الجديدة إلى الثقافة العربية مع موجة استدعاء المناهج النقدية والاحتفاء بالوفاد الغربي بعد أن تم الإقرار بالحاجة إلى استلهام دروسه والسير على خطاه في سبيل استحداث تراكم معرفي يكفل إمكان استحداث المفاهيم والإجراءات، إذ المعرفة خاضعة إلى ضرب من الشايف الذي يضمن بفعل الزمن الإسهام في بناء وعي تنتج عنه مقدرة إبداعية لا تتنكر لأصالتها ولكنها في الوقت ذاته تفتح على منجزات الآخرين، إذ المعرفة لا هوية لها.

لم تكن سبل انتقال البلاغة الجديدة إلى الثقافة العربية ممهدة تماما، فالبلاغة عندهم علم عربي خالص اقترن بالقرآن الكريم، وفصلت أبوابه من كتاب تعلقوا بمواطن الإعجاز وسعوا إلى استكشاف أسراره وإثبات علو مكانته، وتنزيهه عن كل كلام مهما بلغت درجة سموه، فلا غرابة أن يتعلق العربي بالبلاغة وينكر أي اجتهاد فيما رسم لها وما ضبط لها، ومن ثم يصح لديه قرن محاولات التجديد بالخروج عما قدمه القدماء والطعن في علمهم واجتهاداتهم.

غير أن هذا التوجه قد لا يكون بالضرورة وعيا عاما مشتركا لدى المشتغلين بالبلاغة أو غيرها. فقد ترسخ لدى عدد غير قليل من الدارسين حاجة البلاغة العربية إلى التجديد، والحاجة إلى الاطلاع على ما يقترحه الآخرون ومواكبة ما استجد من مفاهيم وأفكار. فالانعزالية والتقوقع في زاوية بدعوى وصول الدرس البلاغي العربي القدام درجة الكمال وعدم الحاجة إلى اجتهادات الآخرين من شأنه أن يسيء إلى ذاك التراث الضخم ويقلل من قيمته وفاعليته في الثقافة المعاصرة التي لا تكترث بالمحلية الضيقة ولا بانغلاق باب الاجتهاد سيرا وفق ليس أبدع مما كان.

منصوري مصطفى

إن التراث البلاغي يستطيع أن يعيش في وعي المشتغلين بالثقافة العربية المعاصرة إذ تم إخضاعه للدراسة وأعيد ترتيب أبوابه وإبعاد ضوابطه عن القواعد الصارمة والتفكير في طرائق تجاوز الجملة إلى النص وإعادة النظر في التعامل مع النصوص بأساليب مختلفة لا تكون القاعدة المعيارية متقدمة ولا محددة لنصية النص مثلا. ثم يصبح بالإمكان البحث في الإسهام العربي الأكيد في الحجاج والتداول والتخييل وما سار على درب هذه المصطلحات المستحدثة مع البلاغة الجديدة.

3-3 البلاغة الجديدة... مفهوم واحد بمصطلحات عدة

لا تقدم البلاغة الجديدة عند العرب بمصطلح واحد على الرغم من تطابق المفهوم المقترن بها في الغالب. وقد يعود ذلك إلى طبيعة المحاضن اللغوية التي يستند إليها كل طرف، فالترجمة عن الإنجليزية غير الترجمة عن الفرنسية مثلا أو أن ذلك مرتبط بالالتباس الذي أحدثه عنوان بيرلمان وتيتيكا فهو يضم الحجاج والبلاغة الجديدة معا. وبذلك صار من الصعب قرن مصطلح ما بمصنفهما دون الآخر. فمن المترجمين من عد ما تم بلورته في الكتاب حجاجا فحسب، ومنهم من رأى أن ما اقترح يجوز تسميته بالبلاغة الجديدة، وما الحجاج إلا جزء منها. ولا يستبعد الأمر هكذا أن يكون المصطلحان متطابقين من باب الترادف لا غير.

ربط الحجاج بالبلاغة الجديدة سمة غالبية لدى كثير من الدارسين فهي عندهم نظرية في الحجاج ((تهدف إلى دراسة التقنيات الخطائية وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور)) (صابر الحباشة، 2008، ص.15) غير أن مثل هذا الاقتران قد يثير بعض الالتباس حين يصادف ربط جديد بين الحجاج والتداوليات بدعوى التفاعل بين البحث البلاغي والبحث التداولي (صابر الحباشة، 2008، ص.16 وما بعدها) فلا يعرف الحجاج أبلاغي أم تداولي وما طبيعة العلاقة بين البلاغة الجديدة بوصفها حجاجا كما تقدم والتداولية بوصفها علما يستلهم الدرس الحجاجي؟ إن ذلك كله متروك لتأويل السياق العام للكتاب الذي عنون بالتداولية والحجاج. أو أنه مقترن بفكرة رائجة لدى عدد غير قليل من الدارسين الذين لا يرون الحجاج بلاغيا فحسب، فقد يكون فلسفيا وتداوليا أيضا. (ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر ما اقترحتته (هاجر مدقن، 2013، ص79 وما بعدها)

النسق الاصطلاحي للبلاغة الجديدة وإشكالاته الترجيمية

لا يبتعد الالتباس ذاته عن ظاهرة استهجنها محمد العمري تظهر في ارتباط البلاغة بعلم أو حقل معرفي كأن يقال البلاغة والحجاج أو البلاغة والأسلوبية أو البلاغة والسيمائيات، فهو يطلب ((عدم استعمال واو العطف بين البلاغة والمباحث الأخرى التي يفترض أن تنضوي تحتها، او تقوم بديلا عنها دون اتخاذ الاحتياطات المنهجية الضرورية لرفع اللبس. فجعل البلاغة أصلا حيناً و قسيماً لفرع من فروعها حيناً آخر ..يشوش على القراء ويتركنا ندور في نفس المكان)) (محمد العمري، 2016 ،ص 17) فالبلاغة علم عام شامل مستقل لا يقبل أن يسند إليه علم أو يستند إلى علم آخره. إن ذلك لا ينفي التقاطع والتراحم بين العلوم غير أن الاستقلالية من شأنها أن تضيء بعض الصفاء والوضوح لمن يرغب في استقبال معرفة ممنهجة قائمة على أسس واضحة المعالم.

حين تتعدد المصطلحات لتشير إلى المفهوم الواحد أو إلى جزء منه على الأقل تتضاءل فرص التواصل وتتسع فجوة الاختلاف، فيصير عسيرا على المتلقي استيعاب ما يقترح أو تجريب فاعلية ما يروج له من مفاهيم وإجراءات، مما يسهل نعت المصطلح بالغموض والاضطراب، مما يقود إلى العزوف عن إدراك طبيعة الوافد دون إخضاعه للدرس والتحليل، فتتسع المسافات بين ما يفكر به العصر وما يجتره من ضاقت سبله وقلت حيلته.

يعد تمام حسان من أوائل من دعا إلى ضرورة انفتاح البلاغة على ما استجد من مفاهيم وأفكار، فلا مخرج لائق للبلاغة القديمة ما لم تعتمد إلى الإسهام في بناء تصور تحليل جديد للنصوص تتخلى فيه عن معياريتها الصارمة وتعليها الفج وبخاصة بعد أن ظهرت ((العناية بالدراسات الأسلوبية بطريقة تختلف اختلافا تاما عن معيار البلاغة القديمة التي بنيت على تراث اليونان والرومان والقرون الوسطى)) (تمام حسان 1987 ص.22) ولا شك أن ذلك الاختلاف هو ما ينبغي أن تتجاوزه البلاغة القديمة، فتقدم القاعدة على النصوص يحد من إمكان الانفتاح على الإبداعات الجديدة التي لا تغترف من المعين نفسه. فيما تعتمد الدراسات الحديثة في ((بناء النتائج على دراسة الوقائع الأسلوبية في النص وبهذا استحقت دراسة الأسلوب أن نسميها البلاغة الحديثة)) (تمام حسان 1987، ص 22) لا جدال في أن البلاغة الحديثة عند تما حسان هي الأسلوبية ذاتها، وهو توجه جار عند من كان يعتقد أن البلاغة نضجت واحتقرت وأن أوان انسحابها بعد أن تكفلت علوم مستحدثة بالقيام بالدور نفسه التي أدته حتى الآن. وإذا كان ما اعتقده وجهة نظر لا ينازعه فيها أحد بدهاة إلا أن إطلاق المصطلحات دون سند مقنع ودون

منصوري مصطفى

وعى بخطورة التباسه مع مصطلحات أخرى يخل بمبدأ التراكم الذي تقام عليه عملية بناء المصطلحات بعد إخضاعها للسيرورة الزمنية، فمصطلح البلاغة الحديثة هنا لا يسير وفق النسقية الفكرية التي أخضعت لها البلاغة حتى الآن.

يعنون محمد سالم الأمين الطلبة كتابه ب(الحجاج في البلاغة المعاصرة) فيضيف مصطلحا جديدا لما تم اقتراحه مقابلا لـ *La nouvelle rhétorique*، ولا شك أن مثل هذا التوجه يشيرا صراحة إلى ضرورة استحضار البلاغة القديمة لإدراك المعاصرة، وكأن الأمر متعلق بالزمن لا غير، فيما أن انعطافات معرفية متعددة تفصل البلاغة الجديدة عن التقليدية. على الرغم من معرفة التقليدية للحجاج في حدودها الدنيا على الأقل.

تقترن البلاغة الجديدة في مصنف الحجاج بدراسة ((تقنيات الخطاب التي تعمل على جعل الأذهان مستسلمة لما يعرض عليها، وقد تزيد من تسليمها إلى درجة الإذعان.. ويصير الحجاج ناجحا كلما زادت قوة استدلاله ودرجة إذعان المخاطبين)) (*T, Chaïm Perlman et Lucie*) (*Olbrecht tyteca.1992p.05*) إلا أن صاحب الكتاب لا يرى الحجاج إلا جزءا يسيرا من تلك البلاغة المعاصرة. بل إنه لا يعترف باستقلاليتها فهي عنده موكلة أن تنخرط مع علم النص ((الذي يتحرك في خطى حثيثة نحو استيعاب مختلف الأبواب البلاغية الجديدة والقديمة مكرسا بذلك مفهوم التداخل المعرفي *interdisciplinarité* الذي يتقاطع فيها مع بلاغة الحجاج)) (محمد سالم الأمين الطلبة، 2008، ص.16. 17) فيما أن البلاغة الجديدة تطمح أن تكون طرفا في أي تحليل للخطاب مهما كانت طبيعته وأشكالها. والواقع أن صاحب الاقتراح لا يميز كثيرا بين البلاغة الجديدة كما أسس أركانها بيرلمان وما كان يتبلور مع جماعة بلجيكية أخرى (جماعة *ll*) تحت مسمى البلاغة العامة *rhétorique générale* إذ كانت تطمح إلى جمع تخصصات مختلفة ضمن مصطلح البلاغة العامة (الشعريات، السيميائيات نظرية التواصل اللسانية أو المرئية) مستلهمة الدرس اللساني استلهاما واضحا على خلاف استناد بيرلمان إلى أطر عقلية ومنطقية في المقام الأول.

على الرغم من أن الكاتب على وعي ظاهر بارتباط البلاغة والحجاج فيما اقترحه بيرلمان، إلا أنه لا يجد حرجا في نعت تلك البلاغة ببلاغة الحجاج لأنها تعنى ((بنائية بلاغة الحجة وبلاغة أسلوبها كشرطين متلازمين لتحقيق الخطاب ونفاده)) (محمد سالم الطلبة، 2008، ص. 106) ومن ثم ينبثق سؤال سبق طرحه سابقا هل البلاغة الجديدة مرادفة لبلاغة الحجاج؟ أم أن الحجاج لا يشكل غير جزء

النسق الاصطلاحي للبلاغة الجديدة وإشكالاته الترجيمية

يسير من تلك البلاغة؟ ويظل الالتباس قائما حين تتم مقارنة الجهاز المصطلحي لتلك المفاهيم البلاغية الوافدة

3-4 تفرع البلاغة الجديدة

يصدر محمد العمري عن وعي كبير برهانات البلاغة الجديدة وبالآفاق التي تطمح أن تكون طرفا فيها، لذلك عد أكثر المشتغلين في الثقافة العربية المعاصرة بالدرس البلاغي قديمه وحديثه، كما عد من المقتنعين الأوائل بضرورة تجديد الدرس البلاغي العربي من خلال الانفتاح على ما يستجد من مفاهيم في الثقافة الغربية بخاصة والعمل على استكشاف مواطن بلاغية تراثية تستجيب لما استحدث، بعد أن غيب مع من ركن إلى تعقيدات السكاكي فحسب.

لا يكتفي محمد العمري باستعراض ما تقترحه البلاغة الجديدة والدعوة إلى تبني طروحتها بوصفها عملا مكتملا ، بل عمد إلى محاورتها ومدارستها وفق ما ترسخ لديه من قناعات من خلال مسيرته الطويلة مع البلاغة العربية التي أدرك أصولها وتتبع امتداداتها، فرأى صفحات منها قادرة أن تنهض بالمشروع البلاغي الجديد إن هي وضعت ضمن نسق مفهومي متجدد يتوافق مع الجهاز المصطلحي الذي تقترحه البلاغة الجديدة، وتخلت عن من معياريتها الضيقة التي لم تعد مجدية ولا صالحة لتكوين جيل جديد ينفر من الضوابط والقيود.

يميز العمري ضمن البلاغة الجديدة بين تيارين ((تيار نظرية الحجاج، وتيار البلاغة العامة. هناك قاسم مشترك بين نظرية الحجاج والبلاغة العامة يتمثل في اهتمامها بالجانب الإقناعي، فنظرية الحجاج تنميه وتطوره لتدججه في هوم البحث التداولي الحديث، والبلاغة العامة تسترجعه بعد أن ضاع منها في ظروف تاريخية غير مواتية لتطوير نظرية بلاغية)) (محمد العمري 2005، ص 132) لايتخذ مصطلح البلاغة العامة الدلالة نفسها كما تبلورت مع جماعة مو ولا يستعمل كما أراد محمد سالم الطلبة لها، ولا تقدم نفسها ترجمة للبلاغة الجديدة، بل هي تفرع لها. ترتبط بالبلاغة الجديدة ارتباطا وثيقا.

إذا كانت نظرية الحجاج موكلة بتتبع أدوات الإقناع في النصوص ورصد الطرائق التي تعمدتها في سبيل حمل السامع على الاقتناع وتاليا العمل وفق ما يرتضيه صاحب النص، فإن البلاغة العامة كما تبلورت لدى العمري تحتاج إلى إثبات قدرتها على امتلاك البعد الحجاجي لتضمن انتماءها للبلاغة الجديدة. ومن ثم تتجاوز البلاغة المختزلة *restreinte* التي حصر موضوعها في الصور والمحسنات.

منصوري مصطفى

ليست البلاغة العامة ابتداء معاصرا، فالجمع بين التخييل والإقناع سبق وأن رسم حدوده حازم القرطاجني من خلال تحديد طبيعة التأثير الذي يحدثه الشعر والخطابة بوصفهما صناعتين تشملهما البلاغة (ينظر حازم القرطاجني، 1981 ص. 19-20) فلا عجب أن تنحو البلاغة العامة النهج نفسه مع ضبط لبعض المفاهيم لإزالة الالتباس الناتج عن الجمع بين ما يدركه العقل وما تبتهج له النفس. ذلك لأن ((العلاقة بين قطب التخييل وقطب التداول هي العلاقة بين حلقات سلسلة يربطها الإدعاء: إدعاء الكذب مع احتمال الصدق وإدعاء الصدق مع احتمال الكذب.. الاحتمال يمتد من أقصى درجات التخييل حيث يلتبس العقل بالجنون إلى أعلى درجات التعقيل حيث يلتبس الحجاج بالبرهان)) (محمد العمري، 2016 ص. 28) إن مثل هذا التصور الذي يجمع بين الاحتمال والاختيار يقيم وشائج قوية بين ما تقترحه البلاغة الجديدة وبين ما تزخر به البلاغة العربية التي كان الاستدلال العقلي مركزها الأول عبر كثير من مفاهيمها، ولا يمكن الاجترار الذي أصابها مع التقييدات والهوامش والحواشي أنت تنفي عنها الانحرط الفعلي في بناء لغة واصفة تستند إلى الحجة والبرهان وحمل السامع على السير وفق ما يعرض عليه من خطابات توجيهية وإرشادية يستوي في ذلك الشعر والخطابة.

تقتضي البلاغة العامة الذي يبشر بها محمد العمري جهازا مصطلحيا خاصا يمكن حصر بعض مفرداتها (الاحتمال، التأثير، الاختيار، التخييل، التداول الإنشاء، الشعرية الحجة، المقام، المستمع (بفتح الميم)، الانحرط، التيقن) ولا شك أن كثيرا منها مستوحى من البلاغة العربية (التأثير، التخييل، الإنشاء..) ولكن بعضها مترجم عن اللغة الفرنسية بخاصة (المستمع الخاص والكوني، التيقن، الانحرط..) ولا يستبعد أن تكون بعض المصطلحات البلاغية العربية حملت مفاهيم جديدة لتتلاءم مع معطيات الجهاز الوافد. ولاشك أن مثل هذه المصطلحات الخاصة تحتاج إلى بعض المدارس للبحث عن أصولها وامتداداتها، غير أن المقام لا يسمح باستعراضها.

4. الخاتمة:

كان طموح البحث استكشاف الإشكالات المعرفية التي رافقت انتقال البلاغة الجديدة إلى الثقافة العربية، إذ لم تكن سبل ذلك الانتقال يسيرة فالتراث البلاغي العربي يقترح صفحات مضيئة لا يمكن إغفالها أو تجاوزها دون إحداث خلل في المنظومة المعرفية العربية وفي طرائق التلقي لدى فئة واسعة من المثقفين العرب

النسق الاصطلاحي للبلاغة الجديدة وإشكالاته الترجمة

الذي يعون البلاغة تراثا عربيا لا ينضب ومن ثم تصبح الدعوة إلى تجديده ضربا من النيل من شموخه ونصاعته.

في مقابل ذلك الزعم انتقلت البلاغة الجديدة إلى الثقافة العربية لدى عدد غير قليل من الدارسين إما بواسطة الترجمة أو التنظير أو إخضاع ما تم اقتراحه إلى الممارسة التطبيقية فتفاوتت درجات التلقي وتباين قوة الاستيعاب.

5. قائمة المراجع:

- عياد بومرزاق، 2016 فتنة المصطلح، زينب للنشر والتوزيع تونس
- سعيد يقطين، 2012 السرديات والتحليل السردى الشكل والدلالة، المركز الثقافي العربي بيروت الدار البيضاء
- عماد عبد اللطيف، 2016 أزمة المصطلح البلاغي العربي مظاهره وأسباب ومقترحات، البلاغة وتحليل الخطاب المغرب
- محمد العمري، 2013 أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة أفريقيا الشرق المغرب-
- صابر الحباشة، 2008 التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، سوريا
- هاجر مدقن، 2013 الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، منشورات ضفاف الاختلاف، الامان، المغرب/ الجزائر لبنان
- محمد العمري 2016 البلاغة العامة النسق المصطلحي والخريطة النصية، البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب
- تمام حسان 1987 المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فصول م 7 ع 3 و4 مصر
- . Perlman et Lucie Olbrech tyteca 1992
- Traité de l'argumentation. La nouvelle rhétorique ed université de Bruxelles*
- محمد سالم الأمين الطلبة 2008، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، الكتاب الجديد ليبيا)
- محمد العمري 2005، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، ضمن نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة وإعداد محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب
- حازم القرطاجني، 1981، منهاج البلغاء وسراج الأدباء دار الغرب الإسلامي لبنان.
- محمد العمري، 2016 البلاغة العامة النسق المصطلحي والخريطة النصية البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب